إيران في عهدة المحافظين!

27-6-2005

في بداية الانتخابات الإيرانية وتحديدا في الجولة الأولى لم يكن ثمة ما يشير إلى قوة الرجل من قريب أو من بعيد، لكن اللافت كان الدعاية الانتخابية التي اعتمدها الرجل، فقد خاطب الفقراء والمسحوقين الذين يهمهم رغيف الخبز أكثر من أي شيء. وفي مقابل البيان الانتخابي الاقتصادي الذي اعتمده نجاد في خطابه للفقراء، وهم غالب الشعب الإيراني، التفت المرشحون الآخرون للنخب ولطبقات أكثر ثراء ونفوذا

بقلم طارق ديلواني

حدث ما كان غير متوقع وحقق المرشح المحافظ للانتخابات الإيرانية محمود أحمدي نجاد فوزا كاسحا على المرشح المخضرم الرئيس السابق هاشمي رافسنجاني في مفاجأة مدوية.

ما يتفق عليه المتابعون للشأن الإيراني أن فقراء إيران قالوا كلمتهم وصوتوا لتحسين الأوضاع الاقتصادية بغض النظر عن هوية أو تيار المرشح للرئاسة، وأن خط التشدد تفوق على صوت الاعتدال.

في بداية الانتخابات الإيرانية وتحديدا في الجولة الأولى لم يكن ثمة ما يشير إلى قوة الرجل من قريب أو من بعيد، لكن اللافت كان الدعاية الانتخابية التي اعتمدها الرجل، فقد خاطب الفقراء والمسحوقين الذين يهمهم رغيف الخبز أكثر من أي شيء. وفي مقابل البيان الانتخابي الاقتصادي الذي اعتمده نجاد في خطابه للفقراء، وهم غالب الشعب الإيراني، التفت المرشحون الآخرون للنخب ولطبقات أكثر ثراء ونفوذا.

فوز أحمدي نجاد عام الذي يحمل دكتوراة في الهندسة فيه دلالات كثيرة، أولها كما أسلفنا أن خيار الوضع الاقتصادي أصبح ملاذ الناخبين في المنطقة عموما.

والأمر الآخر هو عودة المحافظين للامساك بزمام الأمور مجددا، مما قد ينسف كل ما بناه أو عمل عليه الإصلاحي خاتمي، بدءا بالملف النووي وانتهاء بالعلاقة مع الولايات المتحدة ففوز نجاد يعد احدث انتصار للمحافظين.

أما الأقلية التي فضلت رافسنجاني على نجاد فلها مخاوفها أيضا من سياسة هذا الرجل، وتكمن في أكثر من اتجاه، أولها أنه سيحدث انقلابا في السياسة الاقتصادية الحالية للبلاد ..فضلا عن عدائه المعلن للديمقراطية، إضافة لمخاوف من ضوابط اجتماعية أكثر تشددا خاصة فيما يتعلق بالمرأة والشباب. والواضح تماما أن أغلب مناوئي الرئيس الإيراني الجديد هم من النخب المثقفة المتعلمة والبرجوازيين والأثرياء.

في الملف النووي يكفي أن نشير إلى تصريحات نجاد المباشرة التي قال فيها إن من حق إيران تطوير برنامجها النووي للأغراض السلمية، مما يعكس إصرارا لدى الرجل للسير قدما في الملف النووي.

وعلى صعيد العلاقة مع أمريكا تبرز تصريحات نجاد المتشددة بعد ساعات قليلة من فوزه، حيث أعلن أن إيران ليست بحاجة إلى العلاقة مع الولايات المتحدة، وهذان التصريحان كفيلان برسم مقاربة أولية لما سيكون عليه برنامج عمل الرئيس الإيراني الجديدة ومواقفه بل لما ستكون عليه إيران الجديدة.. عزلة إيرانية غربية وأمريكية ومخاوف متجددة بشأن طموحات إيران النووية.

وفي مقابل توقعات قطع حبل الود مع أمريكا، يبدو أن الرجل سيؤسس لعلاقات أكثر متانة مع العالمين العربي والإسلامي.

على الصعيد الشخصي للرجل فهو لم يكن ذو شهرة واسعة قبل أن ينتخب عمدة لطهران، إلا أنه أسر بأحاديثه وخطبه خلال الحملة الانتخابية قلوب العامة بأسلوبه الشعبي في مخاطبتهم. وهو من المقربين من الحرس الثوري ومؤسسة القضاء ومن المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية آية الله خامنئي لكنه اكتسب نجاد احترام الكثيرين بعد نجاحه في تطهير بلدية طهران من الفساد الذي استشرى في دوائرها.

ويعد نجاد من أصحاب الولاء الشديد للفكر الخميني، ويعتمد في الناحية الاقتصادية على النموذج الكوري الجنوبي الذي يهدف إلى تحقيق الاكتفاء الاقتصادي الذاتي، والاعتماد الأدنى على التجارة الأجنبية، وتعبئة الطاقات الوطنية لتعزيز الروح الثورية بدلا من جني المال.

الرئيس التاسع لإيران الإسلامية إذا رجل أتى من صفوف الشعب الإيراني البسيط حاصدا ملايين الأصوات والكثير من الترحاب من الإيرانيين. لكن ماذا عن موقف الآخرين من فوز الرجل؟!

ردة الفعل الأولية لكثير من عواصم الدول الغربية كانت متشائمة وحذرة، إذ تعتبر بعض هذه العواصم أن فوز نجاد سيغلق الباب أمام حدوث انفراج في العلاقات الأمريكية الإيرانية.

أمريكا ذاتها بدأت بتقييم نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية، فقد رأت وزارة الخارجية الأميركية أن فوزه نجاد يكشف أن إيران "متخلفة عن باقي المنطقة، وتيارات الحرية الحالية التي كانت واضحة جدا في العراق وأفغانستان ولبنان".

الأمر لم يخلو من طعن الأمريكيين بالنتائج والإشارة إلى التزوير، وهو ما سلم به الزميل علي حسين باكير في مقاله حول إيران بعد الانتخابات الأخيرة. إلا أنني اختلف معه في رؤيته هذه ..لكنني لا أنكر أن الأمر شابه بعض التجاوزات، إلا أن الشعب الإيراني الفقير والمسحوق والمحافظ أيضا، قال كلمته بوضوح دون مواربة وجاءت النتائج منطقية بعد تجربة سابقة للإصلاحيين في عهد خاتمي.

بالعودة إلى الموقف الأمريكي، ثمة مخاوف حقيقية لدى واشنطن من تغيير سياسي حقيقي في إيران على صعيد العلاقات الثنائية والملف النووي.

الرؤية الأمريكية للأمور ليست منفصلة عن ساحات ساخنة أخرى، فهي تربط بين فوز محافظي إيران وفوز حزب الله في الانتخابات اللبنانية وحماس في الأراضي الفلسطينية والتيارات المتشددة حسب التصنيف الأمريكي عموما.

أما إسرائيل، فقد أبدت بدورها مخاوفها بعد وصول أحمدي نجاد إلى السلطة في إيران، ورأى شمعون بيريز أن فوز احمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية الإيرانية سيسبب مشاكل كبرى للأسرة الدولية، مضيفا أن المنافسة في إيران كانت بين متطرفين فقط ولا يمكن اعتبارها حرة أو ديمقراطية.

في الموقف العربي، ثمة حذر وترقب أيضا، حيث دعا أمين عام مجلس التعاون الخليجي الرئيس الإيراني الجديد محمود احمدي نجاد إلى "فتح صفحة جديدة" مع دول الجوار وخاصة دول مجلس التعاون الخليجي.

والحرص على المصالح المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وتسوية النزاعات الإقليمية والثنائية على وجه الخصوص" في إشارة إلى النزاع الإماراتي الإيراني. وتدعم دول مجلس التعاون الخليجي (السعودية والإمارات وقطر والكويت وسلطنة عمان والبحرين) أبو ظبي في نزاعها مع طهران.

في الأردن ..التي توترت علاقتها مع طهران في الأشهر الأخيرة الماضية، سادت أجواء من الترقب والحذر، حيث ينظر الأردن بكثير من القلق من انعكاسات هذا الفوز سلبيا على المنطقة خاصة فيما يتعلق بالملف العراقي، إذ تلقي الأردن بكامل ثقلها نحو دور محوري مهم في العراق التي تتقاسم إيران فيه الأدوار أيضا. وتخشى الأردن أن تقوم طهران بالتوغل أكثر في العراق خاصة مع فوز المتشددين، ومخاوفها هذه تتجاوز الدور النظري إلى أرض الواقع، فيما يتعلق بتصدير الثورة الإيرانية للعراق ..كيف لا وقد عبر الأردن الداعم "شكليا" لسنة العراق عن مخاوفه علنا من المد الشيعي في المنطقة انطلاقا من العراق.

سوريا هي الأخرى الحليف القوي والصديق الحميم لإيران، كان لها موقف من هذه النتيجة على أساس أنها تخدم بالضرورة دمشق وتخفف عنها جزءا من الضغط الأمريكي وتقوي موقفها وصمودها في ظل التكالب الدولي عليها.

وبعد 8 سنوات من الإصلاح وحكم الرأسين، عادت إيران إلى المربع الأول، وحكم الرأس الواحد وبدا أن التيار الإصلاحي سجل نهايته بنفسه. والثورة الإيرانية عموما وجدت من ينجدها ..